الرحلــة إلــى اللّــه

« ذكـرت بهـذه الرحلـة الرحلـة إلى الله »

بهيم العجلي

□ الرحلـة إلى اللّـه □

نعم الرحلة إلى الله ، كما جاء في الحديث : « لا يفد إليّ ... لمحروم » .

ولله ما أحلاه من صوت ضجيج ... إبل وخيل الحجيج .

لحظة بلحظة مع الرحلة إليه في دار الدنيا ، إلى بيته العتيق ... وقفة وأي وقفة !! وقفة تصحح القصد ، وتشحذ الهمم ، وتطيب السير .

أيها الحجيج ... أتدرون من تقصدون ، وإلى من تعمدون ؟ .

أتظنون الحج مفارقة الأوطان ؟ وترك مقارفة النسوان ؟ وجَوْب السباسب على النجائب ؟ وقطع المراحل على الرواحل ؟ كلا والله .

بل خلوص النية للبرِّ قَبْل البرية ، وإصلاح الطوية ، قبل امتطاء المطية ، والترهب ليوم الميقات ، قبل التأهب في الميقات ، ونزع لباس الإلباس قبل خلع هذا اللباس ، وهجر التخليط والتفريط قبل ترك المخيط .

أفينفع الغسل منغمسا فى الذ[illegible] ؟ [illegible] المخيط من لم ينزع عن حوب ؟ أوْ يدفع الدخول في الإحرام عَمّنْ يجوب في الحرام ؟ .

أوْ حلول وادي عرفة لمنْ جهل الحقّ وما عرفه ؟ .

أو الرمي بالأحجار الجمرات مَنْ في قلبه من نار الإصرار جمرات ؟ .

أو نزول وادي الخيف أهل الجنف والحيف ؟

أو التلفع بكسر الثوب للاضطباع من هو في أسر الحوب بموافقة الطباع ؟.

أو التطواف حول البيت بقلبٍ غافل ميْت ؟ .

أو السعي بين الصفا والمروة لمن ليس له صفا ولا مروة ؟ .

أو يرد حلق الرأس من يريد حلق الناس ؟ .

فابدءوا رحمكم الله بأخذ أهبة الباطن ، لهذه المواطن ، فإن الأمر إذا فُصّل في الورود والصدور ، ﴿ **حُصّل ما في الصدور** ﴾

أخي: انظر إلى هذا الحديث... لترى أن الإبل... هذه البهائم العُجم تحن إلى البيت.

كلٌّ كنى عن شوقه بلغاته ولربما أبكى الفصيح الأعجمُ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل ، فلما صُدّت عن البيت حنّت كما تحنّ إلى أولادها. هذا حنين الإبل للبيت .

قطع القوم بَيْد السفر ﴿**بشق الأنفس**﴾، فوافقتهم الركاب ﴿**وعلى كل ضامر**﴾.

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أنْ قد فارقت حبيبا
ما حملت إلا فتى كئيبا يُسر مما أعلنت نصيبا
لو غادر الشوق لنا قلوبا إذنْ لأثرنا بهن النيبا
إن الغريب يسعد الغريبا

« كأني بالمحامل تئن ، وبالزوامل تحن ، وبالمطي ترزم ، وبالجفون تسجم ، والشوق إلى البيت قد عمل عمله ، والمؤمل يلاحظ أمله .

لي أنه الشاكي وإن بعد المدى ما بيننا وتنفس المكروب

واعجباً من حنين النوق ، كأنها قد علمت وجد الركاب ، تارة تجد في السير ، وتارة تتوقف ، وتارة تذل وتطأطيء الأعناق ، وتارة تمرح ، كأنها قد استعارت أحوال العارفين .

أذاكرها في سراها ما عراها فغدت تنفخ شوقا في براها
تقطع البر وتنسى ما جنى سيرها والسير أمر قد براها
كلما ظنت مني قد قربت وتدانت دارُها طار كراها
أسعداها يا خليليّ على ما دعاها في الهوى أوْ فدعاها
ذكرا ما زال من عهد الصبا خلياها والصبا فهو رضاها
غنها يا أيها الحادي لها بالحمى أو بالنقا وانظر سراها
نح عنها السوط يكفي شوقها قد رأت في نفسها ما قد كفاها
باعها الوجد بكثبان النقى عجبا إذا باعها كيف اشتراها
أتراها علمت مَنْ حملتْ ليتها قد عرفت منْ في ذراها
أنت إن لاحت لك الأعلام قف فهي المقصود لا شيء سواها
قف على الوادي وسل عن كبدي كبدي واكبدي ماذا دهاها
يا رفيقيّ اهدياني دارهم ودعاني ودعاني وثراها
أنا مقتول بسهم غرب قوسه خيف منى أو ما زماها
حرم الصيد على من حجه فانظر إلى مهجتي من قد رماها
اكتبا في لوح قبري عشتما مهجة ماتت وما نالت مناها

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما ترفع إبل الحاج رجلًا ، ولا تضع يدًا إلا كتب الله تعالى له بها حسنة ، أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة »[1].

كلما سار الحاج خطوة ، وقد سبق له الحج قبل ذلك ، يتذكر زيارته قبل ذلك للحجاز ، ولسان حاله يقول للحادي :

أسِلْ بها الوادي رفيقا إنما يسلْ منها أنفسا وأدمعا
مَنْ بمنى ، وأين جيران منى كانت ثلاثا لا تكون أربعا

---

(١) حسن : رواه ابن حبان في صحيحه ، والبزار والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، وقال المناوي: « فيه من لا أعرفه ». وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٤٧٢ .

سلبتموني كبدا صحيحة أمس فردوها علي قِطعَاً
عدمت صبري فجزعت بعدكم ثم ذهلت فعدمت الجزعا
ارتجعوا لي ليلة بحاجر إن تم في الغائب أن يرتجعا
وغفلة سرقتها من زمني بلعلع سقى الغمام لعلعا

وإن كان لم يسبق له الحج ، فيعلم أن سفره ينتهي به إلى البيت ، وأثر من آثار الجنة فيه « الحجر » ، فلسان حاله يقول :

سل بالغوير السابق المغلسا هل يستطيع ساعة أن يحبسا
فإن في الدار أهالي لوعة سُوقا ضعافا وعيونا نعسا
وثملين ما أدارت بينهم إلا السهاد والدموع أكؤسا
ما علمت نفوسهم أن الردى ميقاته الصبح إذا تنفسا
تركت من خلفك أجسامهم وسقت ما بين يديك الأنفسا
لولا أمانيهم وما يرجونه ونعم رَوْح الكرب أرجو وعسى
لأغرقوك دمعة فدمعة وأحرقوك نَفَسا فنفسا
أين تريد عن رياض حاجر وماؤها يشفي الغليل اليبسا

○ التلبيـــة ○

أول وقت التلبية وقت انعقاد الإحرام ، ولا يقطعها حتى يشرع في رمي جمرة العقبة ، وقال بعض أهل العلم : حتى ينتهي رميه إياها .

• **لفظها :**

ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول في تلبيته ، إذا أهل محرما : « لبيّك اللهم لبيّك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . ورواية البخاري عن

عائشة إلى قوله « إن الحمد والنعمة لك » وقد أجمع المسلمون على لفظ التلبية المذكورة في حديث ابن عمر المتفق عليه ، وحديث جابر ، والأفضل الاقتصار عليها ولا بأس بالزيادة « لبيك لبيك وسعديك ، والخير بيديك لبيك ، والرغباء إليك ، والعمل » . واقتدى ابن عمر في ذلك بأبيه عمر .

• التلبية من المناسك :

- معنى لبيك : إجابة بعد إجابة ولزوما لطاعتك ، فهي مِنْ لبَّى بمعنى أجاب ، وهي مثناة على قول سيبويه والجمهور ، وتثنيتها للتكثير .
- وقيل معناها : اتجاهي وقصدي إليك ، مأخوذ من قولهم : داري تلبي دارك أي : تواجهها .
- وقيل معناها : محبتي لك، مأخوذ من قولهم: امرأة لبة، إذا كانت محبة لولدها.
- وقيل معناها : إخلاصي لك، مأخوذ من قولهم: حبٌّ لباب، إذا كان خالصا.
- وقيل معناها : أنا مقيم على طاعتك ، مأخوذ من قولهم : لبَّ الرجل بالمكان ، وألب به إذا أقام فيه وبهذا قال الخليل .
- وقيل معناها : قربا منك ، وطاعة ، والإلباب : القرب .
- وقيل : أنا ملب بين يديك ، أي خاضع .

• فروع تتعلق بالتلبيـــة :

- ينبغي للرجال رفع أصواتهم بالتلبية ، وأما النساء فلا ينبغي لهن رفع الصوت بالتلبية ، كما عليه جماهير أهل العلم ، بل تسمع المرأة نفسها .
- يستحب الإكثار من التلبية في دوام الإحرام ويتأكد إستحبابها في كل صعود وهبوط ، وحدوث أمر من ركوب ، أو نزول ، أو اجتماع رفاق ، أو فراغ من صلاة ، وعند إقبال الليل والنهار ، ووقت السحر ، وغير ذلك من تغاير الأحوال ، وعلى هذا أكثر أهل العلم .
- اختلف العلماء في استحباب التلبية في حال طواف القدوم والسعي بعده ،

وممن قال إنه لا يلبى في طواف القدوم ، والسعي بعده : ابن عمر ومالك وأصحابه ، وهو الجديد الصحيح من قولي الشافعي ، وهو قول ابن عيينة : ما رأيت أحدا يقتدى به يلبي حول البيت إلا عطاء بن السائب .

وممن أجاز التلبية في طواف القدوم : ابن عباس ، وعطاء ، وربيعة ، وابن أبي ليلى ، وبه يقول أحمد .

لا خلاف بين من يعتد به من أهل العلم في أن المحرم يلبي في المسجد الحرام ، ومسجد الخيف بمنى ، ومسجد نمرة بقرب عرفات ؛ لأنها مواضع نسك . واختلفوا في التلبية فيما سوى ذلك من المساجد .

وأظهر القولين : أنه يلبي في كل مسجد ، إلا أنه لا يرفع صوته رفعا يشوش على المصلين .

أظهر قولي أهل العلم أن المحرم يلبي في كل مكان في الأمصار وفي البراري وبه قال أكثر الفقهاء .

يالها من لحظة تساوي العمر وتورث القـ ـرب ساعة الإحرام والإهلال من الميقات
لَمّا رأيت مُناديهم ألمّ بنا شددت مئزرَ إحرامي ولبيّتُ
وقلت للنفس جدي الآن واجتهدي وساعديني فهذا ما تمنيتُ
لو جئتكم قاصداً أسعى على بصري لم أقض حقا وأي الحق أدّيْتُ
وانظر إلى حادي الأرواح ابن القيم يصفها بقلمه السيّال بل بوجيب قلبه :
أمَا والَّذِي حَجَّ المحبونَ بيتَهُ ولَبُّوا له عند المُهَلِّ وأحرَمُوا
وقد كشفوا تلك الرؤسَ تواضعاً لِعِزَّةِ من تَعْنو الوجوهُ وتُسْلِمُ
يُهِلُّونَ بالبَيْداء لَبَّيْكَ رَبَّنَا لكَ الملكُ والحمدُ الذي أنت تعلمُ
دعاهم فَلَبَّوْه رِضًا ومَحَبَّةً فَلَمَّا دَعَوْه كَانَ أقربَ منهمُ
تراهم على الأَنْضَاءِ شُعْثاً رؤوسُهُمْ وغُبْرًا وهم فيها أَسَرُّ وأنعمُ
وقد فارقوا الأوطان والأهل رَغْبَةً ولم يُثْنِهِم لذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ

يسيرون من أقطارها وفجاجها رجالًا وركبانا ولله أسلموا[(١)]

قال سفيان بن عيينة : حج علي بن الحسين رضي الله عنهما ، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ، ووقعت عليه الرعدة ، ولم يستطع أن يلبي ، فقيل له : لم لا تلبي ؟ .

فقال : أخشى أن يقال لي : لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبى غشي عليه ، ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه[(٢)].

قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي بالتلبية»[(٣)].

وقال ﷺ : « أتاني جبريل ، فقال لي : إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية ، فإنها من شعائر الحج »[(٤)].

قال المناوي في [فيض القدير] (١ /٩٧) : « إظهارًا لشعائر الإسلام ، وتعليما للجاهل ما هو مندوب في ذلك المقام . قال ابن العربي : وذلك أنهم كانوا يوقرون المصطفى ﷺ ، ويمتثلون ما أمروا به من خفض الصوت في التكبير والتسبيح في السفر ، فاستثنى لهم التلبية من ذلك : فصاروا يرفعون أصواتهم بها جداً ، روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح : كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم ، وأخرج أيضاً بإسناد صحيح عن بكر المزني :

---

(١) القصيدة الميمية لابن قيم الجوزية .

(٢) إحياء علوم الدين .

(٣) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وصححه، والبيهقي في سننه، وصححه السيوطي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو من رواية السائب بن خلاد. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٢ ، وشعيب الأرناؤوط في تحقيقه لابن حبان .

(٤) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، والحاكم وأبو يعلى، وابن خزيمة والطبراني ، والبيهقي، والضياء عن زيد بن خالد، وصححه السيوطي، والألباني في صحيح الجامع رقم ٦٧، وشعيب الأرناؤوط .

كنت مع ابن عمر فلبى حتى أسمع ما بين الجبلين .

قالوا : ومعنى التلبية كما في حديث ابن عباس وغيره إجابة دعوة إبراهيم حين أذن في الناس بالحج . وفيه مشروعية التلبية تنبيها على إكرام الله لعباده بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه » اهـ .

وقال ﷺ : « أمرني جبريل برفع الصوت في الإهلال ، فإنه من شعار الحج »[(١)]. والإهلال هو رفع الصوت بالتلبية في الحج والعمرة .

وانظر إلى كرم الله وجوده فيما يقوله ﷺ: « ما من مسلم يلبي إلا لبّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا »[(٢)].

قال المناوي في [فيض القدير] : لمّا أضاف التلبية إلى الأعيان الآتية ، جعل كأنها من جملة ذوي العقول فعبر بمن ذهابًا بها من حيز الجمادات إلى جملة ذوي العقول ليكون أدل على المعنى الذي أراده » ومعنى « حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا » : أي : من منتهى الأرض من جانب الشرق إلى منتهى الأرض من جانب الغرب يعني يوافقه في التلبية كل رطب ويابس في جميع الأرض .

وفي الحديث تفضيل لهذه الأمة لحرمة نبيها فإن الله أعطاه تسبيح الجماد والحبوان معها ، كما كانت تسبح مع داود عليه السلام ، وخص داود بالمنزلة العليا أنه كان يسمعها ويدعوها فتجيبه وتساعده .

بل انظر إلى الجود الذي جاد به الجواد الذي علا عَلَى كل جواد ، وبه جاد كل من جاد .

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده، والبيهقي في سننه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٣٧٩ .

(٢) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن سهل بن سعد، وصححه الحاكم، وحسنه السيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٦٤٦ .

قال ﷺ « ما أهل مهل قط، ولا كبّر مكبر قط، إلا بشر بالجنة »(١)

قال المناوي : بشرته الملائكة أو الكاتبان .

قال ﷺ : « لبيك إله الحق لبيك »(٢).

وقال ﷺ : « لبيك اللهم لبيك ، إنما الخير خير الآخرة »(٣).

ويستحب للملبي عند التلبية إدخال الإصبعين في الأذنين لوصف موسى عليه السلام الذي سيأتي حين وصفه رسول الله ﷺ : « كأنما أنظر إلى موسى ... واضعا أصبعيه في أذنيه ، له جُؤَار إلى الله بالتلبية ، مارًّا بهذا الوادي ... » الحديث .

قال ﷺ : « أفضل الحج العجّ والثّج »(٤).

قال المناوي في [فيض القدير] (٢/ ٣١) : « أفضل أعمال الحج الصوت بالتلبية ، وصب دماء الهدي كذا في الكشاف .والعج : رفع الصوت بالتلبية . والثّج : إراقة الدم » .

---

(١) حسن : رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة . وقال الهيثمي : رواه بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ، وضعفه السيوطي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٤٤٥.

(٢) صحيح : رواه أحمد في مسنده، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٩٣٣، وصححه شعيب الأرناؤوط .

(٣) حسن : رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في سننه عن ابن عباس، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٩٣٤ .

(٤) حسن : رواه الترمذي عن ابن عمر ، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي في سننه عن أبي بكر . وأبو يعلى في مسنده عن ابن مسعود ، صححه الحاكم ، وأقره الذهبي في التلخيص . وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١١١٢ .

○ بـــر الحج ○

اعلم يا أخي أن مغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مرتب على كون الحج مبرورًا ، وإنما يكون مبرورًا باجتماع أمرين فيه :

• **أحدهما : الإتيان فيه بأعمال البر :**

والبر يطلق بمعنيين أحدهما بمعنى : الإحسان إلى الناس ، كما يقال البر والصلة ، وضده العقوق .

وفي صحيح مسلم أن النبيَّ ﷺ سُئل عن البر فقال: « حسن الخلق ».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إن البر شيء هين : وجه طليق وكلام لين. وهذا يحتاج إليه في الحج كثيرًا، أعني معاملة الناس بالإحسان بالقول والفعل، قال بعضهم : إنما سمي السفر سفرًا ؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ». قالوا: وما بر الحج يا رسول الله ؟ قال : « بر الحج إطعام الطعام وطيب الكلام »[1].

وسئل سعيد بن جبير أي الحاج أفضل؟ قال: «من أطعم الطعام وكف لسانه».

قال الثوري : سمعت أنه من بر الحج .

وقال أبو جعفر الباقر : ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاثة : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وحلم يضبط بـه غضبه ، وحسن الصحابة لمن

(١) حسن : رواه أحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك، والطيالسي، والطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل ، والخرائطي .
قال الحاكم في المستدرك ١ /٤٨٣ : هذا صحيح الإسناد و لم يخرجاه؛ لأنهما لم يحتجا بأيوب بن سويد، لكنه حديث له شواهد كثيرة، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

يصحبه من المسلمين . فهذه الثلاثة يحتاج إليها في الأسفار خصوصًا في سفر الحج ، فمن كملها فقد كمل حجه وبرّ ، وبالجملة : فخير الناس أنفعهم للناس وأصبرهم على أذى الناس قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرغ من دَلوك في إناء المستسقي، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط »[(٢)].

وهذا الحديث كنظم الجمان وروض الجنان .

وقال ﷺ : « أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا ، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل »[(٣)].

وقال ﷺ : « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطعمه خبزًا »[(٤)].

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال الترمذي: حسن غريب ، وقال الحاكم: على شرطهما وأقره الذهبي، وحسنه السيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٢) صحيح : أخرجه الطيالسي، وابن حبان في صحيحه . ورواه بترتيب مختلف أحمد، وأبو داود والنسائي، والبغوي، والطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي، والضياء في المختارة .

(٣) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في [قضاء الحوائج] والطبراني في الكبير عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٧٤، والسلسلة الصحيحة رقم ٩٠٣ .

(٤) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في [قضاء الحوائج] والبيهقي في شعب الإيمان عن=

وقال ﷺ : « أفضل الصدقة سقي الماء »[(١)].

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: «كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة»[(٢)] . والحاج يحتاج إلى مخالطة الناس، والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل ممن لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم .

قال ربيعة : المروءة في السفر بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله عز وجل .

وجاء رجلان إلى ابن عون يودعانه ويسألانه أن يوصيهما فقال لهما: عليكما بكظم الغيظ وبذل الزاد فرأى أحدهما في المنام أن ابن عون أهدى إليهما حلتين .

والإحسان إلى الرفقة في السفر أفضل من العبادة القاصرة لا سيما إنْ احتاج العابد إلى خدمة إخوانه ، وقد كان النبي ﷺ في سفر في حر شديد ، ومعه من هو صائم ومفطر فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية ، وسقوا الركاب . فقال النبي ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

قال مجاهد : صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني .

وكان كثير من السلف يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم اغتنامًا لأجر ذلك ، منهم عامر بن عبد قيس وعمرو بن عتبة بن فرقد مع اجتهادهما في العبادة في أنفسهما ، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر الخدمة والأذان . رافق قوم ابن أدهم في السفر فانتهى بهم المكان إلى مسجد

= أبي هريرة ، وابن عدي في الكامل عن ابن عمر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١١٠٧، والصحيحة رقم ١٤٩٤ .

(١) حسن : رواه أحمد في مسنده، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن سعد بن عبادة، وأبو يعلى عن ابن عباس، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١١٢٤، وتخريج المشكاة ١٩١٢ .

(٢) حسن : رواه الخطيب في الجامع عن جابر، والطبراني عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

مهجور ليس له باب والليلة شاتية ، فانتظر إبراهيم حتى نام إخوانه ، ثم قام مقام الباب وسد البرد عنهم بجسده إلى الصباح .

وكان رجل من الصالحين يصحب إخوانه في سفر الجهاد وغيره فيشترط عليهم أن يخدمهم فكان إذا رأى رجلا يريد أن يغسل ثوبه قال له : هذا من شرطي فيغسله ، وإذا رأى من يريد أن يغسل رأسه قال : هذا من شرطي فيغسله ، فلما مات نظروا في يده فإذا فيها مكتوب (من أهل الجنة) فنظروا إليها فإذا هي كتابة بين الجلد واللحم .

وترافق (بهيم العجلي) وكان من العابدين البكائين ، ورجل تاجر موسر في الحج ، فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى (بهيم) حتى قطرت دموعه على صدره ، ثم قطرت على الأرض . وقال : ذكرت بهذه الرحلة ، الرحلة إلى الله ، ثم علا صوته بالنحيب ، فكره رفيقه التاجر منه ذلك ، وخشي أن يتنغص عليه سفره معه بكثرة بكائه ، فلمّا قدما من الحج جاء الرجل الذي رافق بينهما إليه ليسلم عليهما فبدأ بالتاجر فسلم عليه وسأله عن حاله مع (بهيم) فقال له : والله ما ظننت أن في هذا الخلق مثله ، كان والله يتفضل عليّ في النفقة وهو معسر وأنا موسر ، ويتفضل عليّ في الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب ، ويطبخ لي وهو صائم وأنا مفطر . فسأله عما كان يكرهه من كثرة بكائه فقال : والله ألفت ذلك البكاء ، وأشرب حبه قلبي حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا الرفقة ، ثم ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا ، ويقول بعضهم لبعض : ما الذي جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد ، فجعلوا والله يبكون ونبكي . ثم خرج من عنده فدخل على (بهيم) فسلّم عليه ، وقال له كيف رأيت صاحبك ؟ قال : خير صاحب كثير الذكر لله ، طويل التلاوة للقرآن ، سريع الدمعة ، متحمل لهفوات الرفيق ، فجزاك الله عني خيرًا .

- **ابن المبـــارك :**

كان ابن المبارك يطعم أصحابه في الأسفار أطيب الطعام وهو صائم ، وكان

إذا أراد الحج من بلده (مرو) جمع أصحابه وقال من يريد منكم الحج فيأخذ منهم نفقاتهم فيضعها عنده في صندوق ، ويقفل عليه ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة ، ويطعمهم أطيب الطعام ، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف ، ثم يرجع بهم إلى بلده ، فإذا وصلوا صنع لهم طعامًا ثم جمعهم عليه ، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فرد إلى كل واحد نفقته .

• **ثانيهما : (المعنى الثاني للبر) : فعل الطاعات :**

وضده الإثم ، وقد فسر الله تعالى البر بذلك في قوله : ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب** ... ﴾ الآية . فتضمنت الآية أن أنواع البر ستة أنواع ، من استكملها فقد استكمل البر :

أولهـا : الإيمان بأصول الإيمان الخمسة .

وثانيها : إيتاء المال المحبوب .

وثالثها : إقام الصلاة .

ورابعها : إيتاء الزكاة .

وخامسها: الوفاء بالعهد .

وسادسها: الصبر على البأساء والضراء وحين البأس ، وكلها يحتاج الحاج إليها ، فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان ، ولا يكمل حجه ويكون مبرورًا بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإن أركان الإسلام بعضها مرتبطة ببعض . فلا يكمل الإيمان والإسلام حتى يؤتى بها كلها .

ولا يكمل بر الحج بدون الوفاء بالعهود في المعاقدات والمشاركات ، المحتاج إليها في سفر الحج .

وإيتاء المال المحبوب لمن يحب الله إيتاءه . ويحتاج مع ذلك إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق في السفر ، فهذه خصال البر .

ومن أهمها للحاج إقام الصلاة ، فمن حج من غير إقام الصلاة ، لا سيما مَنْ كان حجه تطوعًا كان بمنزلة مَن سعى في ربح درهم وضيّع رأس ماله وهو ألوف كثيرة .

• **نوافل الصلاة في الحج :**

قد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة ، وكان النبي ﷺ يواظب على قيام الليل على راحلته في أسفاره كلها ، ويوتر عليها .

- وحج مسروق فما نام إلا ساجدًا .
- وكان محمد بن واسع يصلي في طريق مكة ليله أجمع في محمله ، يومىء إيماء ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه حتى يشغل عنه بسماع صوت الحادي فلا يتفطن له .
- وكان المغيرة بن الحكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشيًا ، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن ، فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده ، ثم يلحق بالركب متى لحق بهم ، فربما لم يلحقهم إلا في آخر النهار .

سلام الله على تلك الأرواح ، رحمة الله على تلك الأشباح ، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

فنحن ما نأمر إلا بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها ولو بالجمع بين الصلاتين المجموعتين في وقت إحداهما بالأرض ، فإنه لا يرخص لأحد أن يصلي صلاة الليل في النهار ، ولا صلاة النهار في الليل ، ولا أن يصلي على ظهر راحلته المكتوبة ، إلا من خاف الانقطاع عن رفقته أو نحو ذلك مما يخاف على نفسه .

• **كثرة ذكر الله تعالى :**

من أعظم أنواع بر الحج كثرة ذكر الله تعالى فيه، وقد أمر الله تعالى بكثرة

ذكره في إقامة مناسك الحج مرة بعد أخرى. وقال ﷺ: « أفضل الحج العَّج والثج ».

• **اجتناب أفعال الإثم :**

مما يكمل بير الحج اجتناب أفعال الإثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصي ، قال الله تعالى : ﴿ **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ الآية .

قال بعض السلف لمن ودّعه : اتق الله ، فمن اتقى الله فلا وحشة عليه . وقال آخر لمن ودّعه للحج : أوصيك بما وصى به النبي ﷺ معاذا حين ودّعه : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . وهذه وصية جامعة لخصال البر كلها .

ولأبي الدرداء رضي الله عنه :

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

• **اتقاء المال الحرام :**

ومن أعظم ما يجب على الحاج اتقاؤه من الحرام ، وأن يُطيب نفقته في الحج ، وألا يجعلها من كسب حرام .

مات رجل في طريق مكة فحفروا له فدفنوه ، ونسوا الفأس في لحده ، فكشفوا عنه التراب ليأخذوا الفأس فإذا رأسه وعنقه قد جمعا في حلقة الفأس ، فردوا عليه التراب ، ورجعوا إلى أهله فسألوهم عنه ، فقالوا : صحب رجلا فأخذ ماله ، فكان منه يحج ويغزو .

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العيرُ
لا يقبل الله إلا كل طيبة ما كلُّ من حج بيت الله مبرور

• **الإخـــلاص :**

ومما يجب اجتنابه على الحاج وبه يتم بر حجه ، ألا يقصد بحجه رياءً ولا سمعة ولا مباهاة ، ولا فخراً ولا خيلاء ، ولا يقصد به إلا وجه الله ورضوانه ، ويتواضع في حجه ويستكين ويخشع لربه .

وقد قال ﷺ : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة »[(١)].

وقال رجل لابن عمر : ما أكثر الحاج فقال ابن عمر : ما أقلهم . ثم رأى رجلا على بعير على رحل رث خطامه حبل فقال : لعل هذا .

وقال شريح : الحاج قليل والركبان كثير . ما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه . .

خليليّ قطّاع الفيافي إلى الحمى   كثيرٌ وأما الواصلون قليـل

كان بعض المتقدمين يحج ماشيا على قدميه كل عام ، فكان ليلة نائما على فراشه فطلبت منه أمه شربة ماء ، فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقي أمه الماء ، فتذكر حجه ماشيا كل عام ، وأنه لا يشق عليه ، فحاسب نفسه فرأى أنه لا يهونه عليه إلا رؤية الناس له ، ومدحهم إياه ، فعلم أنه كان مدخولا .

قال ابن رجب الحنبلي في كتابه الطيب [لطائف المعارف] : « الحج المبرور مثل حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح الذي صحبه من بلخ ، فرجع من حجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وخرج عن ملكه وماله وأهله وعشيرته وبلاده ، واختار بلاد الغربة ، وقنع بالأكل من عمل يده ، إمّا من الحصاد ، أو نظارة البساتين . حجّ مرة مع جماعة من أصحابه فشرط عليهم في ابتداء السفر أن لا يتكلم أحدهم إلا لله تعالى ، ولا ينظر إلا له ، فلما وصلوا وطافوا بالبيت رأوا جماعة من أهل خراسان في الطواف ، معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر إليه ، فجعل إبراهيم يسارقه النظر ويبكي . فقال له بعض

(١) صحيح : رواه ابن ماجة عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٣١٣

أصحابه : يا أبا اسحاق ، ألم تقل لنا : لا ننظر إلا لله تعالى . فقال : ويحك ، هذا ولدي وهؤلاء خدمي وحشمي .

هجرت الخلق طرًّا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا[1]
فلو قطَّعتني في الحب إرْبا لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

(١) لطائف المعارف من ٢٤٥ - ٢٥٢ ، ٦٠ ، ٦١ .